جزء تمهيدى

أ - المقدمة

ب - تعاريف

جـ - محددات التنمية الاقتصادية

obeikandl.com

obeikandl.com

أ - المقدمة

إننا لا نعدو الحقيقة ، إذا قلنا أن الأغلبية الساحقة من سكان العالم ينتمون إلى الدول النامية ، فمثلاً فى عام ٢٠٠٣ بلغ عدد سكان البلدان النامية ٥,٠٩٨٢ مليار نسمة ، بينما وصل عدد سكان العالم فى نفس العام إلى ٦,٣٠١٥ مليار نسمة .[١، ٢]

وفى الواقع أن نسبة عدد سكان الدول النامية إلى عدد سكان العالم فى تزايد مستمر وبدرجة غير صغيرة[٣] . ويرجع ذلك إلى الفرق الهائل بين المعدل السنوى للزيادة الطبيعية

(1) United Nations Population Fund, The State of World Population 2003, making 1 billion count : investing in adolescents' health and rights, New York December 2003, p. 74.

(٢) يذكر أن عدد سكان العالم قد بلغ فى اللحظات الأولى من يوم السبت الموافق ١١ يوليو عام ١٩٨٧ « ٥ مليار نسمة » . ولقد شاء القدر أن يتم المليار الخامس من سكان العالم بمولد طفل من دولة نامية ، وهى يوغوسلافيا . ولقد سمى هذا اليوم بيوم السكان العالمى . ومنذ ذلك الوقت والأمم المتحدة تحتفل به على مستوى العالم . وجدير بالذكر أن العالم احتفل يوم الاثنين ١١ يوليو ١٩٨٨ بالعيد الأول لميلاد ذلك الطفل . ولقد حرص بيريز دى كويار السكرتير العام للأمم المتحدة وقتئذ على حضور ذلك الاحتفال بيوغوسلافيا ، وكأن دى كويار أراد بذلك أن يقول للعالم أن الزيادة السكانية فى حد ذاتها خير وبركة وعلينا أن نحسن استغلالها لتتحول فى الدول النامية من نقمة إلى نعمة .

(٣) نذكر على سبيل المثال أن نسبة عدد سكان الدول النامية إلى عدد سكان العالم قد بلغت ٧٩,٥٩٢٠ ٪ (أى $\frac{٤,٥٤٩٨ \times ١٠٠}{٥,٧١٦٤}$) فى عام ١٩٩٥ و ٨٠,٠٧٥٢ ٪ (أى $\frac{٤,٧٤٨٣ \times ١٠٠}{٥,٩٢٩٨}$) فى عام ١٩٩٨ و ٨٠,٥٣٨٣ ٪ (أى $\frac{٤,٩٤٠٣ \times ١٠٠}{٦,١٣٤١}$) فى عام ٢٠٠١ و ٨٠,٧٤٤٢ ٪ (أى $\frac{٥,٠١٥١ \times ١٠٠}{٦,٢١١١}$) فى عام ٢٠٠٢ وارتفعت تلك النسبة فى عام ٢٠٠٣ إلى ٨٠,٩٠٤٥ ٪ (أى $\frac{٥,٠٩٨٢ \times ١٠٠}{٦,٣٠١٥}$) .

See : United Nations Population Fund, The State of World Population 1995, Decisions for Development : Women, Empowerment and Reproductive Health, p. 67; United Nations Population Fund, The State of World Population 1998, The New Generations, p. 70; United Nations Population Fund, The State of World Population 2001, Footprints and Milestones : Population and Environmental Change, p. 70; United Nations Population Fund, The State of World population 2002, People, Poverty and Possibilities, p. 72 and United Nations Population Fund, The State of World Population 2003, op. cit., p. 74 .

للسكان فى مجموعتى دول العالم ، أى فى الدول النامية والدول المتقدمة[١] ، كما أنه من غير المنتظر أن ينخفض ذلك الفرق فى المستقبل القريب أو البعيد . ومن هنا تأتى الأهمية القصوى والمتزايدة للبلدان النامية .

وإن اهتمامنا بالدول النامية لا يرجع فى الواقع إلى مجرد الإنتماء لإحداها ، وهى جمهورية مصر العربية ، وإنما أيضاً - وهذا هو الأهم - من منطلق العامل الإنسانى ، فنسبة ضخمة من ذلك العدد الهائل من البشر ، الذين يعيشون فى العالم النامى ، خاصة من أبناء أفريقيا وغالبية البلدان الآسيوية ، يعانون ظروف صعبة للغاية[٢،٣] ، أى أنهم يعيشون عيشة مفعمة بالبؤس والشقاء ، مما يفقدهم الشعور بآدميتهم ويجعلهم مصابين بجرثومة اللامبالاة وغيرها من جرثومات اجتماعية خطيرة ، والتى لو استطاعت أن تصيب مجتمعاً متقدماً لحولته إلى مجتمع غير متقدم . ولاشك أن الحياة بالنسبة لهؤلاء تمثل رحلة عذاب (وإن كان قد

---

(١) فلقد بلغت النسبة المئوية لمتوسط معدل النمو السكانى بمجموعة الدول المتقدمة ٠,٣ ٪ وبمجموعة الدول النامية ١,٦ ٪ وذلك فى الفترة (١٩٩٥ - ٢٠٠٠) ، وفى الفترة (٢٠٠٠ - ٢٠٠٥) تصل تلك النسبة المئوية بمجموعة الدول المتقدمة إلى ٠,٢ ٪ وبمجموعة الدول النامية إلى ١,٥ ٪ أى أنه بينما نجد أن فى الفترة الأولى تمثل تلك النسبة المئوية بمجموعة الدول النامية ٥,٣٣٣ أمثالها بمجموعة الدول المتقدمة ، فإننا نجد فى الفترة الثانية أن تلك النسبة المئوية بمجموعة الدول النامية تمثل ٧,٥ أمثالها بمجموعة الدول المتقدمة .

See : United Nations Population Fund, The State of World Population 2000, Lives Together, Worlds Apart, Men and Women in a Time of Change, p. 70 and United Nations Population Fund, The State of World Population 2003, op. cit., p. 74.

(٢) نذكر هنا على سبيل المثال ما قاله عمدة شنغهاى «كسوكوانجدى» من أنه فى عام ١٩٨٥ بلغت نسبة من هم تحت خط الكفاف فى الصين إلى عدد سكانها ٢٠ ٪ . ولقد جاء ذلك فى ندوة دولية بكاليفورنيا عام ١٩٩٦، التى حضرها «كسوكوانجدى» مع شخصيات عالمية أخرى . أنظر : ندوة دولية فى كاليفورنيا : القرن الـ ٢١ حقبة آسيا فى مواجهة أمريكا ، جريدة الشعب ، القاهرة ٩٦/١٢/٦ ، ص ٥ .

(٣) ونذكر هنا أيضاً على سبيل المثال أن أكثر من ٣٠ ٪ من أبناء مصر يعيشون تحت خط الكفاف ، وذلك طبقاً لتقرير أعد عام ١٩٩٦ بواسطة السفارة الأمريكية فى القاهرة فى إطار تقييمها لمسيرة الاقتصاد المصرى ومدى إلتزام الحكومة بنصائح الصندوق والبنك الدوليين ، وكذلك وفقاً لتقرير التنمية البشرية الحكومى ، الذى أعد فى مصر فى عام ١٩٩٦ . أنظر : رؤية أمريكية للاقتصاد المصرى ، جريدة الشعب ، القاهرة ١٩٩٦/١٢/٢٠ ، ص ١٦ ، وأيضاً أكرم القصاص ، عام ١٩٩٧ ، عصا الدولة يأكلها النمل ، جريدة العربى ، القاهرة ٩٦//١٢/٣٠ ، ص ٥ .

يتخللها لحظات سعيدة قصيرة أو ربما قصيرة للغاية) ، فهم يعانون من الفقر والجوع[١] ويعانون بالتالى من الأمراض الخطيرة الناتجة عن النقص الكبير فى التغذية[٢] ، كما يعانون فى الوقت نفسه من نقص حاد متزايد فى الدواء[٣] ، مما يجعلهم فريسة سهلة للمزيد من الأمراض والأوبئة ، كما أن جزء هائل من هؤلاء يعانون من عدم تمتعهم بمأوى مناسب لهم كآدميين ، بل وهناك أكثر من ١٠٠ مليون نسمة يعيشون بلا مأوى ، ومعنى ذلك أنهم يعانون كذلك من الأمراض الخطيرة ، التى تتسبب عن ذلك ، وبالإضافة إلى كل ذلك فإن معظم سكان العالم النامى يعانون من عدم حصولهم على الخدمات الضرورية بدرجة مناسبة ومما يتكبدونه من مشقة كبيرة فى سبيل الحصول على المتاح لهم منها .

وكما تدلنا التجارب فإن الصورة هناك تزداد قتامة باستمرار ، فالفقر والجوع يزدادان اتساعاً وانتشاراً وعمقاً بالبلدان النامية مع الوقت .

وفى الواقع أنه لابد لنا أن نتوقع أن يزداد الفقر اتساعاً وانتشاراً وعمقاً فى العالم النامى فى المستقبل بدرجة أكبر بكثير عنها سابقاً . فرياح التغيير ، التى هبت فى دول أوروبا الشرقية بسرعة وبقوة كبيرتين فى أواخر عام ١٩٨٩ ومابعده ، تجعلها تحظى باهتمام هائل ومتزايد من جانب دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية وكندا واليابان - سواء بالإغداق عليها بالأموال الطائلة وتقديم التكنولوجيا المتطورة إليها أو بإرسال الخبراء والفنيين إليها أو بفتح

(١) ترجع معاناة عدد هائل من البشر فى العالم النامى من الجوع فى حقيقة الأمر إلى أن الانتاجية فى قطاع الزراعة هناك منخفضة للغاية ، وليس أدل على ذلك من أن معاناة هؤلاء تلك تحدث برغم اشتغال معظم القوى العاملة بالعالم النامى بالزراعة واستيراد ذلك العالم لأغلب الفائض السنوى من السلع الغذائية لدى الدول المتقدمة .

(٢) نذكر هنا على سبيل المثال ، أنه طبقاً لتقرير الأمم المتحدة فى عام ١٩٩٦ ، يعانى حوالى ٤٠٠ مليون شخص فى أفريقيا وحدها من الأمراض الناجمة عن النقص فى التغذية . أنظر : ١,٣ مليار شخص يعانون من الفقر فى العالم ، جريدة الأهرام ، القاهرة ٢٧/ ١/ ١٩٩٦ ، ص ١ .

(٣) وعلى سبيل المثال نذكر أن نسبة استهلاك الدواء فى الدول النامية فى عام ١٩٧٦ بلغت ٢٤ ٪ من استهلاك العالم من الدواء ، كما أنها انخفضت فى عام ١٩٨٦ لتصبح ٢١ ٪ فقط ، ذلك برغم أن نسبة عدد سكان تلك الدول إلى عدد سكان العالم قد وصلت فى عام ١٩٧٦ إلى ٧٣ ٪ تقريباً وفى عام ١٩٨٦ إلى أكثر قليلاً من ٧٥ ٪ ، كما أن نسبة عدد المرضى إلى عدد السكان بالبلدان النامية تفوق بكثير تلك النسبة فى الدول المتقدمة . أنظر : دكتور نشأت نجيب فرج ، فجوة الدواء بين الشمال والجنوب ، مجلة الأهرام الاقتصادى ، ٣ إبريل عام ١٩٨٩ ، ص ٧١ .

الأسواق أمام منتجاتها - بهدف إنجاح عملية التغيير ، التى تحدث بها ، والتى تتمثل فى تحويل اقتصادها إلى اقتصاد حر أى اقتصاد السوق ، وهكذا نجد الفرقاء يصبحون أصدقاء ، مما يمهد لحدوث وحدة أوروبية شاملة ، وجدير بالذكر أن معاهدة الوحدة الأوروبية بين دول المجموعة الأوروبية (أى الدول الأعضاء بالسوق الأوروبية المشتركة) أصبحت سارية المفعول فى تلك الدول إبتداء من أول نوفمبر عام ١٩٩٣ ، وهكذا نشأ الإتحاد الأوروبى كخطوة هامة على طريق الوحدة الأوروبية الشاملة .

وبعد ذلك بعدة أيام ، أى فى يوم ١٨ نوفمبر عام ١٩٩٣ وافق الكونجرس الأمريكى على «إتفاقية منطقة التجارة الحرة فى أمريكا الشمالية» (Nord America Free Trade Area - NAFTA) بين الولايات المتحدة الأمريكية ، كندا ، والمكسيك ، ولقد سبق أن وافق مجلسى النواب الكندى والمكسيكى على تلك الإتفاقية.

ولاشك أن كل ذلك له أثره السلبى الكبير والمتزايد مع الوقت على درجة التعاون بين الدول المتقدمة والعالم النامى بأشكاله المختلفة وكذا على حجم مساعداتها له وبالتالى على المسار الاقتصادى به .

وما يزيد الطين بلة بالنسبة للمسار الاقتصادى بالدول النامية الأفريقية والاسيوية وإحدى دول أمريكا الجنوبية ، أى كوبا ، أنه قد تم فى يوم ٢٢ إبريل عام ٢٠٠١ أى فى ختام إنعقاد مؤتمر القمة الثالثة للأمريكتين بمدينة كيبيك بكندا الذى شارك فيه رؤساء دول وحكومات الدول الـ ٣٤ الأمريكية - أى دول القارة الأمريكية باستثناء كوبا - الاتفاق على تحرير التجارة فيما بينها وإقامة أكبر منطقة تجارة حرة فى العالم[1] (والتى تمتد من ألاسكا حتى الأرجنتين ويبلغ عدد دولها أربع وثلاثين دولة يسكنها ٨٢٥ مليون نسمة ويصل حجم انتاجها إلى حوالى أحد

(١) ويذكر أن ممثلى الدول الـ ٣٤ الأمريكية إتفقوا أيضاً على أن الدول الديمقراطية فقط هى التى سوف يسمح لها بالانضمام إلى اتفاقية التجارة الحرة الأمريكية . ولقد وصف المراقبون إتفاق تلك الدول على هذا الشرط للسماح بالانضمام إلى تلك الاتفاقية بأنه انتصار لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية المناهضة لكوبا. أنظر : كيبك تحولت إلى ساحة قتال ، قادة الدول الأمريكية يقرون «الديمقراطية» كشرط لعضوية منطقة التجارة الحرة، جريدة الأهرام ، القاهرة ٢٣/٤/٢٠٠١ ، ص ٤ .

عشر تريليون دولاراً) بحلول عام ٢٠٠٥[١] ، كما أنه قد تم فى ٢٠٠١/٦/١٥ تكوين تكتل إقليمى يضم كل من روسيا ، الصين ، كازاخستان ، قرغيزستان ، طاجيكستان وأوزبكستان بإسم «منطقة شنغهاى للتعاون» ، وذلك بتوقيع رؤساء هذه الدول فى ذلك اليوم على اتفاقية شنغهاى تهدف إلى تعزيز حركة التجارة والاستثمار بين تلك الدول (كما تهدف فى نفس الوقت إلى محاربة التطرف الدينى والنزاعات العرقية والطائفية بدولها)[٢،٣،٤] ، كما شهد الاتحاد الأوروبى فى ٢٠٠٤/٥/١ أكبر توسع حدث له ، حيث إنضمت عشرة دول أوروبية إليه ليصبح عدد أعضائه خمس وعشرين دولة يسكنها حوالى ٤٥٠ مليون نسمة . ويذكر أنه فى ٢٠٠٤/١٠/٢٩ قام زعماء ورؤساء حكومات ووزراء خارجية الدول الخمس والعشرين تلك بالتوقيع فى روما على الوثيقة النهائية للدستور الجديد للإتحاد الأوروبى ، وتتضمن وثيقة الدستور تلك موادا تزيد شعوب تلك الدول ترابطًا وتماسكًا وتوحدًا بدرجة عظيمة وتزيدها بالتالى تعاونا فيما بينها بنفس الدرجة[٥] ، وفي ٢٠٠٥/٤/٢٥ وقع ممثلو دولتى بلغاريا

(١) أنظر : قمة كيبيك تباشر أعمالها وسط احتجاجات ضد العولمة ومصادمات أعاقتها لمدة ٩٠ دقيقة ، جريدة الأهرام ، القاهرة ٢٠٠١/٤/٢٢ ، ص ٤ ، ومصطفى سامى ، قمة الدول الأمريكية فى كيبيك لتحرير التجارة ، حائط أسمنتى يفصل معارضى العولمة عن أعضاء الوفود ، جريدة الأهرام ، القاهرة ٢٠٠١/٤/٢٢ ، ص ٧ .

(٢) أنظر : تكتل إقليمى جديد يضم روسيا والصين ودول وسط آسيا ، جريدة الأهرام ، القاهرة ٢٠٠١/٦/١٦ ، ص ٤ .

(٣) ويذكر أن المنطقة ، التى تضم دول منظمة شنغهاى للتعاون تتمتع باحتياطيات بترولية كبيرة . أنظر : نفس المصدر ، ص ٤ .

(٤) وجدير بالذكر أن الدول الأعضاء بمنظمة شنغهاى للتعاون يشكلون جبهة متحدة معارضة بشدة نظام الدفاع الصاروخى الأمريكى المقترح ، والذى من أجله تسعى الإدارة الأمريكية برئاسة الرئيس جورج دبليو بوش إلى إلغاء معاهدة حظر الصواريخ الباليستية الموقعة عام ١٩٧٢ . وتلك الجبهة ترفض نظام الدفاع الصاروخى، الذى تروج له تلك الإدارة الأمريكية ، حيث أنها ترى أن نشر حائط الصواريخ سيؤدى إلى زعزعة الاستقرار العالمى.

هذا ولقد أعلن الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش فى ٢٠٠١/١٢/١٣ أن الولايات المتحدة أبلغت روسيا رسميا بإنسحابها من معاهدة «إيه.بى.إم» - أى من معاهدة خظر الصواريخ الباليستية الموقعة عام ١٩٧٢- حتى تتمكن من نشر نظام الدرع الصاروخى الذى تصر عليه الولايات المتحدة . وبهذا الإعلان لبوش بدأت الولايات المتحدة فترة إشعار مدتها ستة أشهر للإنسحاب فعليًا من تلك المعاهدة .

أنظر: نفس المصدر، ص ٤ وكذلك بوش يعلن رسميا إنسحاب بلاده من معاهدة الدفاع المضاد للصواريخ، جريدة الأهرام ، ٢٠٠١/١٢/١٤ ، ص ٤ .

(٥) أنظر: التوقيع على أول دستور لأوروبا الموحدة ، جريدة الأهرام ، القاهرة ٣٠/ ١٠/ ٢٠٠٤، ص ٥.

ورومانيا وممثلو دول الإتحاد الأوروبى الخمس والعشرين على معاهدة إنضمام بلغاريا ورومانيا لعضوية الاتحاد الأوروبى.

وإضافة إلى كل ذلك فإن ماتواجهه دول العالم النامى من تحديات ضخمة ومتزايدة نتيجة للتطبيق العالمى التدريجى لإتفاقية الجات - والذى بدأ فى أول يناير عام ١٩٩٥ - يجعلنا نتوقع أن يصل الإنهيار الاقتصادى بالعالم النامى إلى أقصى حد فى المستقبل القريب، حيث أننا نشك كثيراً فى قيامه باتخاذ الإجراءات التى تمكنه من مواجهة تلك التحديات بنجاح.

كل ذلك يؤكد لنا أن الفقراء سيزدادون فقراً فى المستقبل بدرجة أكبر بكثير عنها حالياً وسيزيد الأغنياء فى الوقت نفسه غنى . ذلك برغم أن الفرق الحالى بين متوسط الدخل الحقيقى السنوى للفرد فى العالم المتقدم ومتوسط الدخل الحقيقى السنوى للفرد فى العالم النامى يعد بحق فرقاً فلكياً .

ولبيان مدى الفرق الفلكى بين متوسط الدخل الحقيقى السنوى فى كل من هذين العالمين، نورد هنا الحقيقية الاحصائية ، التى تقول أن حجم الانتاج الإجمالى بالعالم المتقدم يبلغ - طبقاً للبيانات الرسمية - حوالى خمسة أمثال حجم الانتاج بالدول النامية ، ومعنى ذلك أن متوسط الدخل الحقيقى السنوى للفرد فى العالم النامى يمثل ٥,٠٠ ٪ فقط من متوسط الدخل الحقيقى السنوى للفرد فى العالم المتقدم ، حيث أن عدد السكان فى العالم النامى يصل إلى أربعة أمثال عدد السكان بدول العالم المتقدم .

ولتكون الصورة أكثر وضوحاً نذكر هنا على سبيل المثال أن حجم الدخل القومى الحقيقى فى العالم النامى كان فى عام ١٩٩١ أقل قليلاً من ٥٠ ٪ من حجم الدخل القومى الحقيقى لإحدى دول العالم المتقدم، ونعنى بها الولايات المتحدة الأمريكية، بينما بلغ عدد سكانه فى ذلك العام حوالى ١٨ أمثال عدد سكان تلك الدولة، ومعنى ذلك أن متوسط دخل الفرد الأمريكى عام ١٩٩١ كان أكثر (قليلاً) من ٣٦ أمثال متوسط دخل الفرد فى العالم النامى فى ذلك العام.

وجدير بالذكر أن متوسط دخل الفرد الأمريكى كان ٦٥,٦ أمثال متوسط دخل الفرد فى الدولة ، التى بها أكبر تجمع بشرى فى العالم ، ونعنى بها جمهورية الصين الشعبية بطبيعة الحال ، وذلك فى عام ١٩٨٦[1] (أى فى ذلك العام ، الذى بعده بعام واحد بدأت الصين تنفيذ ما يحقق لها قفزات اقتصادية مذهلة، كما سنبين فيما بعد) .

(١) فطبقاً للإحصاءات العالمية ، بلغ متوسط دخل الفرد الأمريكى فى عام ١٩٨٦ حوالى ١٨٧٠٠ دولار ، بينما وصل متوسط دخل الفرد الصينى فى نفس العام إلى حوالى ٢٨٥ دولاراً فقط .